لقيتها

قصة واقعية بقلم الكاتب / راشد عبد الله الفهد

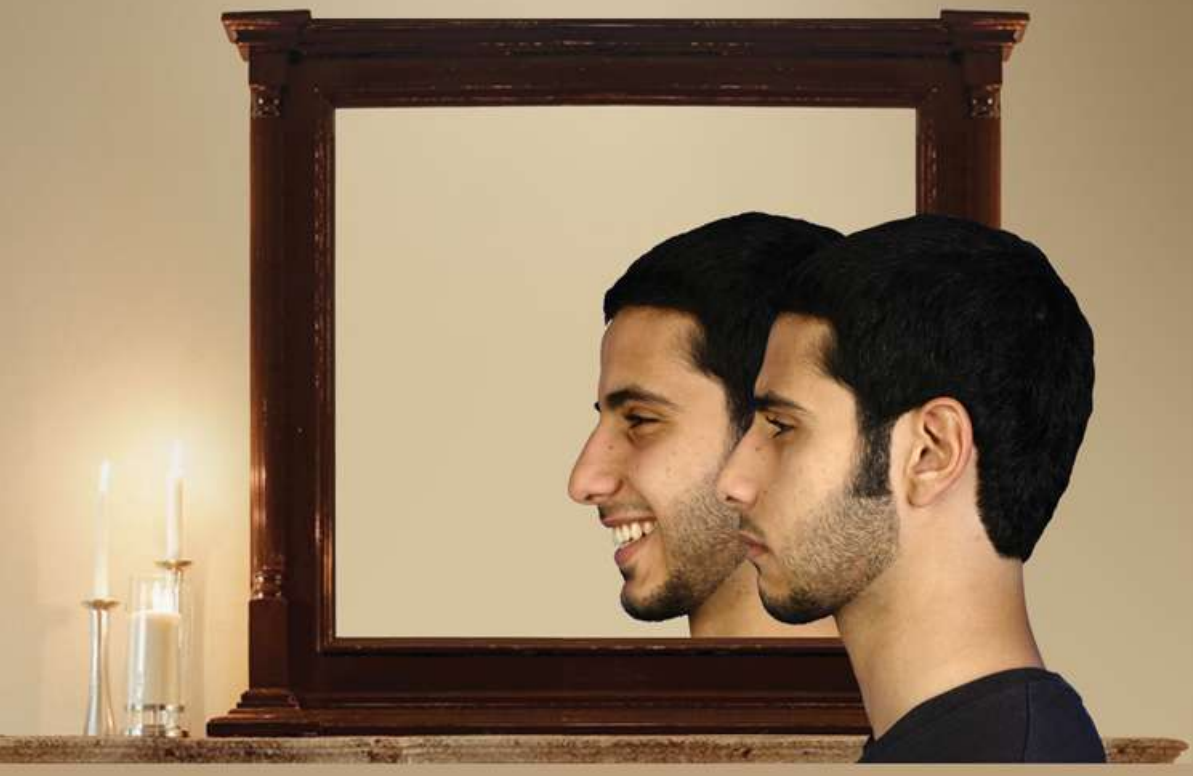

5355787
rekaaz.com
ركاز
التعزيز الأخلاقي

لقيتها

يتأمل مرآة ضخمة معلقة على الحائط، تصف ملامح جسده المغطى بأنواع الموضة وبأشكالها المختلفة، جسده أصبح كلوحة متعددة الألوان والماركات لا تعرف له هوية ولا تعرف له هدف من كل الإكسسوارات المتعددة بجسده وبملابسه، يقترب من هذه المرآة الضخمة الملتصقة على الحائط العريض فيتحسس ذلك المخلوق من خلفها، نظر لنفسه ولأول مرة يشاهدها بشكل شفاف ويتعمق بالإحساس في روحة المحتبسة بداخل هذا المخلوق ...

سالم وجد نفسه وحيداً مغترباً بعد أن كان المكان يعج بالأصدقاء والحفلات الصاخبة والأموال المتناثرة في البذخ بتلك الأمسيات ...

بعد أن أُغلقت جميع المنابع المالية التي كانت تضخ عليه الأموال بكثافة مما أدى إلى عدم توفر المال لديه فما وعى إلا أن يجد نفسه صاغراً وحيداً منكسراً يبحث عن خيال يؤنسه ...

يصرف آلاف الدنانير على حفلاته وأصدقائه وضيوف شقته الفاخرة وسهراته المتنوعة في كل ليلة، والهدايا المميزة للشباب والفتيات من الضيوف بمناسبة وبغير مناسبة، أما اليوم فقد فتح عينيه في وقت يجد رصيده البنكي لا يحتمل شراء علبة مكسرات، يفاجئ بأن هذا الوضع السيئ الذي مر به بمثابة قنبلة أبعدت الجميع عنه وعن حفلاته التي اشتهر بها بين أصدقائه.

على الرغم من انحدار سالم من أسرة عُرف عنها الثراء والمحافظة على القيم والمبادئ، أدت مبادئ العائلة من منعه لدخول المنزل بعد انجرافه وراء كل تلك السلوكيات الغريبة على دينهم ومجتمعهم ناهيك عن شعورهم بالعار من هذا الابن الذي دنس عائلتهم الشهيرة بكل تلك الأفاعيل غير أخلاقية ...

اعتاد سالم على صرف كل ما في الجيب، والذي لا يراه ينضب بكل تلك المصروفات الرهيبة عليه وعلى أصدقائه وسفراته والموضة التي كان يلاحقها في بلاد العالم ولا يسأل عن السعر أبداً ...

شب سالم في كنف سيدة وقورة (هي والدته) وعُرف عنها الأخلاق والمحافظة والتربية الفاضلة لأبنائها، ثقافتها عالية وشهادتها راقية وتربيتها سامية، اعتادت على مجالس الذكر واصطحاب أبنائها الصغار معها ليعتادوا على هذه المجالس في صغرهم وكان من بينهم سالم الصغير، لكن بعد أن كبر سالم ووصل لسن المراهقة، حصل على رصيد بنكي كان له باباً مفتوحاً بمصراعيه لأن يفعل ما يشاء، فلم يجد ما يمنعه من أي شيء طالما أن المال موجود، فلم يتردد بالتجربة تلو التجربة، وكذلك استمرت التجارب حتى الإغراق فيها وأصبحت الملهيات شيء رئيس في حياته، إلى أن أصبح يعيش وسط كثبان من الدخان المسموم والكؤوس و ... !!!

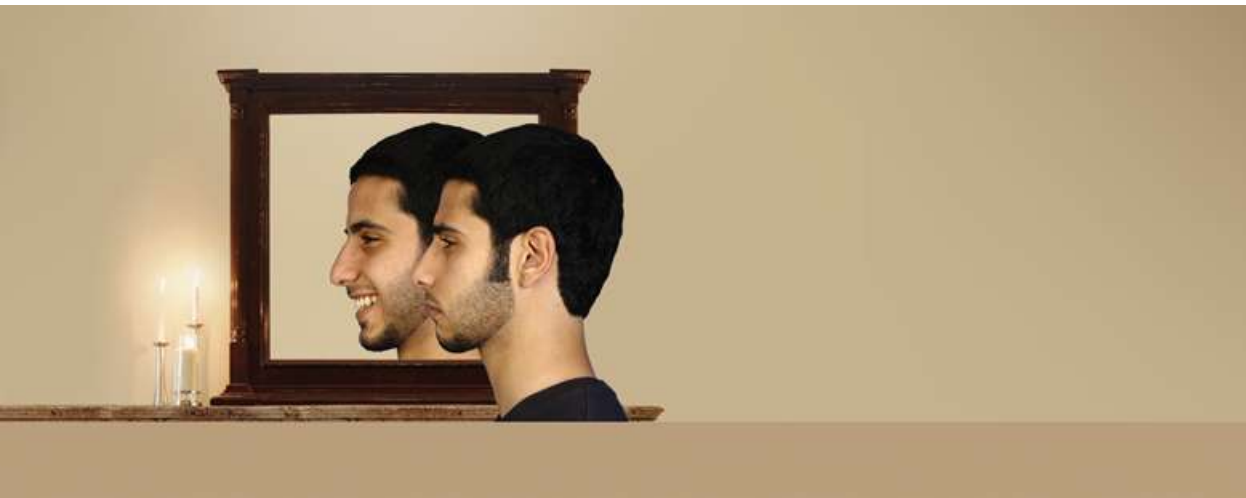

يقف الآن سالم بعد ١٥ عاماً لم يصلي فيها ركعة واحدة، يقف الآن بعد ١٥ عاماً لم يكلف نفسه بمعاونة والدية بشيء، إلى درجة أن كل هذه الأعوام لم يجلس حتى ليأكل وجبة واحدة مع أهله يشعرون فيها بأن لديهم ابن، بعد كل هذه الأعوام ينظر لنفسه في المرآة اليوم بعد أصبح حفنة من الرماد، تطيره أقل نسمة هواء بعد أن كان شعلة من النشاط يحرق كل من يقترب منه، كان بعيداً عن أهله كل هذه الأعوام بعد أن طرده ذلك الأب الحازم الذي حاول مراراً أن يردع أبنه من هذا الطريق فلم يجد بداً من طرده ...

فلم يتأثر سالم بذلك النفي من كينونته العائلية، فسارع على الفور وأخذ شقة فاخرة طالما تتوفر له المادة التي لا تزال تتراكم في رصيده وبالإضافة لاستعطاف والدته بأن يقترض منها يوما بعد يوم وطالت المدة لسنوات... فلم يشعر بالوحدة من فقدان عائلته فقد كان حوله الأصدقاء والملهيات، ومَثَله مثل الذي أصيب بجرح، فقام ليرقص لينسى الألم فيزداد النزيف فيزيد في الرقص حتى يموت دون أن يفكر في علاج نزيفه ويكتفي بأن يلهي نفسه خشية الشعور به ...

ثقافته كانت مميزة ومواهبه نادرة فمن خلال سفراته المتنوعة ودراسته في الخارج جعلت منه إنساناً مميزاً وصاحب أفكار مبدعة وكذلك فنون متناهية في البراعة، ناهيك عن ثقافته الدينية التي اكتسبها في صغره من والدته التي كانت دائماً ما تحرص على تعليمه في هذا الجانب، الشاهد لباطنه يجعله يستغرب وجوده في كل تلك الأجواء المشحونة بالجهل واللهث وراء الغرائز الحيوانية ...

يلتفت حوله اليوم بعد أن ابتعدت عنه عائلته بتزويده بالمصروف المغدق ... فلا يجد أحداً حوله غريباً في نفسه وجسده ...

التفت مرة أخرى بالمرآة خُيل له أن الذباب يجتمع حوله وينهش أحشائه المليئة بالعسل الصافي بالثراء الثقافي ونعومة التربية وطيب النية نعم طيب النية، مسح ذلك من عينيه فوجد إنساناً جديداً يريد الخروج وتغيير ذلك كله ...
تساءل في نفسه ماذا خرجت به بعد كل هذه السنين ؟!
نعم كنت فعلا أبحث عن الابتسامة، المتعة، الاستئناس، هل فعلاً حصلت على جزئ منها على الأقل ؟ ولكن كيف حصلت عليها وأنا منذ مدة طويلة لم يسأل عني أحد وأنا بين هذه الجدران ولم يحاول أحد الاطمئنان علي، ولم يسألني أحد ممن كنت أغدق عليهم بالهدايا والأموال والحفلات حتى إن كان عندي مصروف لطعامي وشرابي فقط!!

ثم ذهب يسحب وراءه هذه التساؤلات فاغتسل وشعر بأن قيوداً تسقط ويخرج منها إنساناً مدجج بالمسؤولية وبالرجولة وبالرجوع لمكانه الطبيعي كجزء من هذا العالم ومن تلك الأسرة، وإن حاول بكل قوته أن يخرج هذا الرجل فسيخرجه لأنه يعرف بأنه هو سالم الحقيقي ...

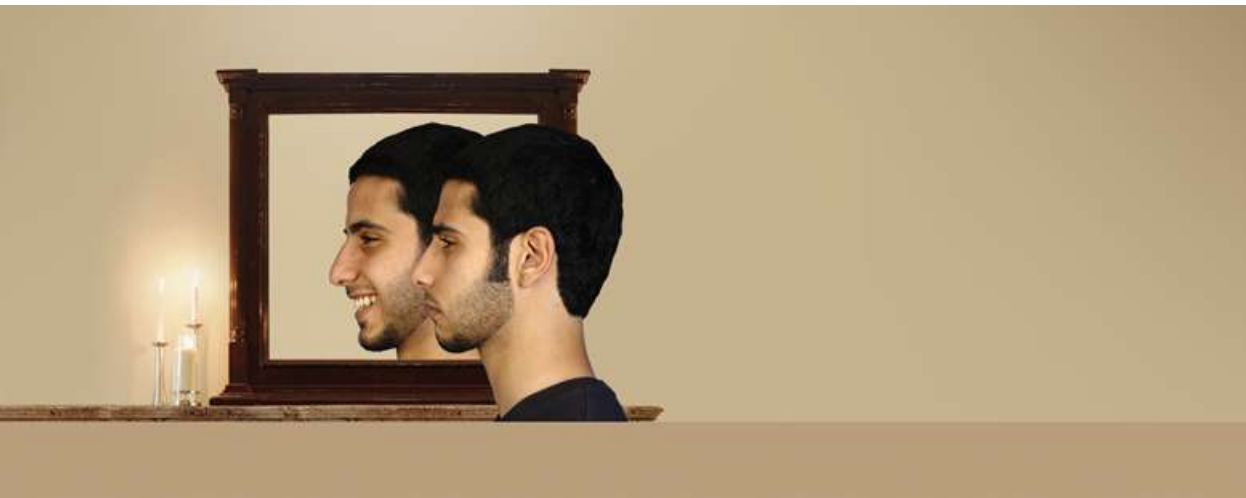

مكالمته الأولى كانت مع والدته التي ذاقت الأمرين أملاً في عودته:
- يمه أوعدج أني برد لكم وبترك كل شيء وأرد إنسان نظيف.
- أنت واثق من هذي الخطوة ولا بتكون ردة فعل على موقف معين وبعدها ترجع للعالم اللي كنت فيه ؟
- يمه والله أوعدج أنتي مو واثقة فيني ومن تربيتج ؟
- بلى يا سالم بلى... وكنت متوقعة هذا اليوم اللي ناطرته من زمان لأني أعرف اللي بداخلك ومتأكدة أنك مستحيل تستمر في كل هذي الأخطاء بس كنت خايفة أنك تموت قبل لا ترجع.
- يمة أنا راجع لكم وبخلي كل شيء ومستحيل أخليكم.

عاد سالم بعد صراع طويل مع النفس امتد لشهور، شعر في بدايته بأنه جديد على عالم يجب أن يكون فيه، قام بتبديل كل ما يستطيع ليطهر نفسه من كل تلك السنين، **بدّل** أوقات التسكع والحفلات والسهر، بقيام الليل وصلاة الفروض والنوافل، **بدّل** أصدقائه بعائلته، و**بدّل** الموضة التي أشتهر بها بالأصالة والقيم، وجميع المواهب والفنون التي يمتلكها وتميز بها بعد أن كان يوظفها لصالح المتسكعين والشرذمة جعلها لصالح نشر الوعي وخدمة الدين وتطهير ما قام به كل تلك الفترة... اجتهد كثيراً وبذل كل ما في وسعه وردد مراراً: " جهودي عظيمة في عمل حفلات صاخبة رذيلة فيجب أن تكون جهودي أعظم في عمل الخير "

ذهب - بعد كل تلك الصراعات مع نفسه - إلى العمرة ليزور الحرم المكي الشريف، ولأول مره في حياته يذهب للعمرة ويتعلم مناسكها بشكل بدائي جداً وكان خجلاً من ذلك، وعلى الرغم من مشاهدته لأبرز معالم العالم في باريس وإيطاليا وروما ولندن وغيرها من البلدان التي يتباهى بها الكثير، إلا أنه حين وقعت عينيه على الكعبة المشرفة ارتجفت أطرافه من هذا المنظر العظيم ووقع موقعه قلبه وكسر فتات التردد على الإقبال بالتضرع والانكسار لهذا الرمز الإسلامي العظيم...

فأخذ يقلب رأسه وسط الحرم ويقول في نفسه " يااااه، بياض يكتنف هذا المكان العظيم (الصحن) بياض القلوب،، بياض الملابس،، بياض وإشراق الوجوه... تباً للسواد الذي عشت فيه كل هذه السنين، لكل الألوان الخادعة التي أحاطت بجسدي وبناظري، وكأنني جديد على الإسلام، كيف لم أعرف هذه المساحات النابضة بالطهر وبالإيمان! التي تعيش لهدف وطموح وهم واحد هو رضى الله عز وجل، كلهم يسعون وراء تلك الثوابت في قلوبهم، يتضرعون، يبكون، يرجون المغفرة والرحمة وتخليصهم من النار، لا أتمالك السيطرة على أطرافي من وقع كل هذه المشاهد المتتالية التي أشاهدها، هل كنت في عقلي كل هذه السنين ؟؟ " ....

بعد فترة من وصوله للوطن وإستقراره بادرته بإتصال هاتفي للإطمئنان عليه وعن أحواله.

- السلام عليكم أخي سالم شلونك بشرني عنك ؟
- وعليكم السلام يا خوي راشد الحمد لله كل شي على ما يرام.
- وكيف حياتك هذه الأيام ؟
- يا راشد خلاص الحين بكل ثقة أقدر أقولك اني **لقيتها** !
- شنو اللي **لقيتها** ؟
- **لقيتها** ... لقيت السعادة بالتبديل للأفضل.

هكذا تركته ... وهكذا يجب أن يكون.

راشد عبد الله الفهد

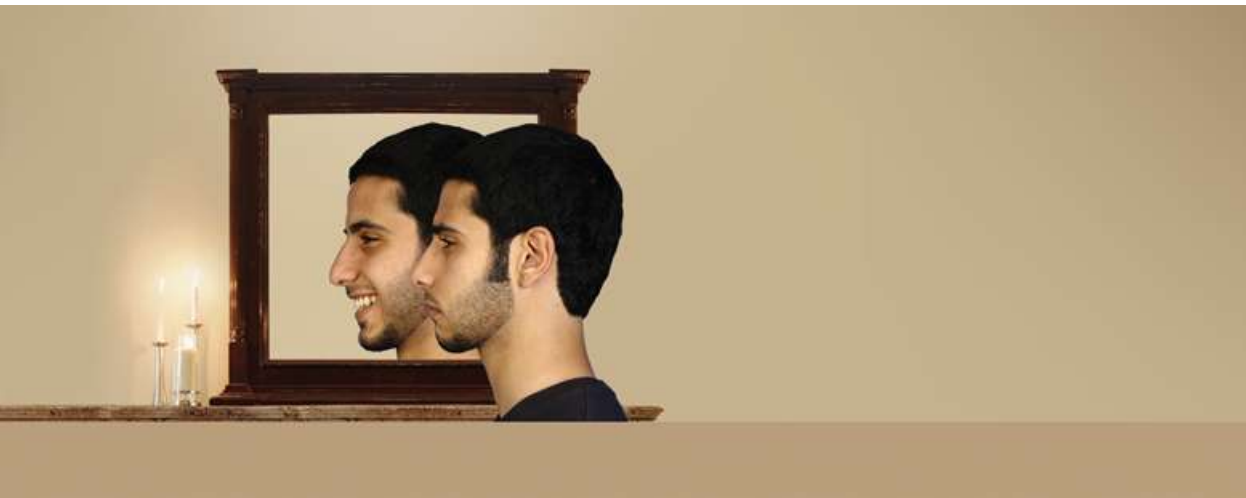

سيئاتك

حسنات

بدِّلها

ركاز
rekaaz.com

بيت التمويل الكويتي
Kuwait Finance House

المصرف
QIB

ذي كاسل
The Castle

NI Group

الوطن

اكتتاب

سوق شرق

RAWAI

نوبلز
NOBLES

شركة الشرق للاستثمار